«يا بتشغّل الأسانسور .. يا بيهبطوا البناية»

كيف نؤسِّس لحرب أهلية جديدة؟

«إن المسلمين والمسيحيين يلتقون، بجميع طوائفهم، على عدد من المواقف المشتركة: الرغبة في المشاركة السياسية، وجوب احترام القانون بصرف النظر عن الموقف من الحكومة، عدم الموافقة على القول بأن سوريا ولبنان شعب واحد في دولتين.. كذلك يتوافقون، ما عدا السنة، على أن ثالوث الحكم يستبد بالبلاد.. وأكثر القضايا التي تباعدهم هي صلاحيات رئيس الجمهورية، وهوية لبنان، والمقاومة في الجنوب، وموضوع حزب الله».

هذه إحدى الخلاصات التي ينتهي إليها كتاب «الطلاب الجامعيون في لبنان واتجاهاتهم» الصادر في نهايات العام ١٩٩٨. وهي تعبّر عن اختلاف الطلاب اللبنانيين حول قضايا محسومة على مستوى السلطة ولا حوار حولها، واتفاقهم حول قضايا أخرى بعيدة عما تروّج له السلطة، إن في ممارستها أو في خطابها، ناهيك عن كون الانتماء الطائفي والمناطقي يشكل محددا أساسيا لمواقف الطلاب. كل ذلك لا يبدو مؤشرا إيجابيا لتجاوز الحرب الأهلية، إنما عامل مؤسس، ربما، لحروب جديدة.

جُذُر وتفاوتات

يشير الدكتور عدنان الأمين إلى كون «البلاد مقسمة إلى جزر قائمة بذاتها ومستقلة عن بعضها بعضا، وهذا شرط موضوعي للاستعداد لأي نزاع أهلي. فكل وسط جامعي يتكوّن من جمهور خاص، حيث الطلاب هم أبناء جماعة ومنطقة معينة، والأساتذة كذلك. والتخرج يؤدي الى العمل في منطقة واحدة وجماعة واحدة، وبالتالي، احتمالات الاتصال مغيبة خلال المرحلة الجامعية، وأيضاً بعدها. هناك نوع من حلقة مفرغة تتغذى من نفسها ومن ضعف الطلاب الذي يقودهم الى الاندراج في الحسابات المحلية لبيئاتهم الخاصة».

ويضيف الأمين ان «الوضع هو أسوأ مما كان عليه في العام ١٩٧٥ لجهة بناء مساحة تفاعل بين أهل المجتمع. والاندماج الاجتماعي لا ينجز بوجود نخبة مندمجة في الجامعة الأميركية، إنما يجب أن يحدث ذلك على مستوى الطبقة الوسطى المتواجدة في سائر الجامعات. ولا يمكن أن يتحقق ذلك من دون وجود حرم جامع (Campus) للجامعة اللبنانية واتحاد طلابي يساهم في كسر العزلة وإيجاد مساحة تفاعل بين الطلاب».

لكن في ظل بقاء فكرة الحرم الجامعي غير منجزة، وتوزيع التراخيص الجامعية على الطوائف، يتضح أن «الدولة تعمد الى استرضاء القوى والجماعات كما هي قائمة، وهذه نقطة ضعف. فالدولة تصون وحدة البلاد من فوق من خلال الجيش، لكنها لا تقوم بمساهمة حقيقية لتوفير شروط وحدة مجتمعية. قد نفهم أن يتم التركيز على الأمن والاقتصاد، لكن لا معنى للتنمية الحقيقية إذا ما بقي النزاع الأهلي مجمّراً».

لا يخفف الدكتور أنطوان حداد من خطورة الجزر المناطقية الطائفية، لكنه يعتبر ان «خارطة التمايز الطائفي لم تعد «متطابقة» مع التمايز الطبقي. فطرد المسيحيين من جنة السلطة ترافق مع تقلص اقتصادي وديموغرافي كبير في صفوفهم، مما يجعل من الصعب لدى المسلمين أن يوجهوا تهمة الاحتكار أو الاستفراد للمسيحيين، كما يحد من طموحات هؤلاء الأخيرين نحو استعادة دور غابر. كل ذلك يشكل ضمانة سلبية لمنع تكرار حرب العام ١٩٧٥ للأسباب ذاتها.

لكن ذلك لا ينفي وجود «محرك قوي لحرب أهلية طبقية بسبب التفاوت المريع في توزع الثروة. ومن تعبيرات هذا التفاوت أن عدد الأسر اللبنانية التي لا تغطي حاجاتها يفوق الأربعين في المئة، والبطالة الجزئية أو الكلية تصل إلى ستين في المئة لدى الشباب، ومن أهم سماتها أنها بطالة متعلمين وحملة شهادات عليا. وكما هو معروف، فإن قدرة المتعلمين على الاحتجاج وتطوير أساليب عنفية لاحقة هي أكبر من قدرة غيرهم. لذلك، في بلدان أخرى كمصر أو الجزائر، نجد أن الحركات العنفية تضم عشرات ممن يحملون لقب مهندس».

ويضيف الدكتور حداد أن «فكرة التنمية كانت قائمة على قانون أن العلم هو مدخل الى الترقي الاجتماعي، وعندما يتوقف العلم عن تشغيل المصعد الاجتماعي فيما هناك من ينتظر على أبواب هذا المصعد، يا بتشغل لهم الأسانسور يا بيهبطوا البناية». ويضاف الى ذلك ان لبنان «يملك واحداً من أسوأ الأنظمة الضريبية في العالم من حيث دورها الاجتماعي. فالضرائب عندنا تحفز التفاوتات بدلاً من السعي الى تحقيق المساواة».

طائفية وقوانين

إلام تقود تفاوتات كهذه؟ يرى الدكتور فواز طرابلسي ان «التذمرات الاجتماعية، إذا لم تجد قنوات تعبر فيها عن نفسها خصوصا في ظل التردي الكبير للحركات الاجتماعية التي يفترض بها أن تمثل اللبنانيين بما هم فئات اجتماعية كالاتحاد العمالي العام مثلا، يصبح التعبير محشورا في قناة المطالب الطائفية. والتجربة السياسية اللبنانية مليئة بعمليات الانتقال في التعبير عن التذمر الاجتماعي من حيزه الصريح المعلن الى حيزات أخرى».

من هنا، يضيف طرابلسي، «يمكن النظر إلى المسألة الطائفية بطريقة مختلفة واعتماد معالجة على صعيدين مختلفين. أولاً، المعالجة الاجتماعية، أي اعتماد السياسات الرامية إلى الإنماء المناطقي وتخفيف الفوارق الطبقية والاجتماعية. ومهما يكن الحكم النقدي بالإجمال على التجربة الشهابية، فإن سياساتها الاجتماعية والتنموية أسهمت في استخلاص دروس حرب العام ١٩٥٨، وفي تقليص التوتر الطائفي في البلاد. وثانيا، إفساح المجال أمام حساسيات مختلفة للطوائف لتعبر عن نفسها في إطار مجلس شيوخ طائفي تنتخبه الطوائف مباشرة ويمارس مقدارا من الرقابة على مجلس النواب الذي يجب أن يكون مجلسا يمثل اللبنانيين بما هم مواطنون».

فطرابلسي يعتبر ان «الفرضية الأساسية لنظام الطائفية السياسية هي فرضية وهمية قائمة إما على وهم الشراكة أو وهم التوازن. ففي ظل الجمهورية الأولى، تمت الشراكة الطائفية في ظل أرجحية مارونية مكرسة من خلال السلطات الواسعة لرئيس الجمهورية.. ثم جاء الطائف ببدعة تزويد البلاد بثلاثة رؤساء، وقد دلت تجربة تطبيقه الى الآن ان العلاقة بين هؤلاء الرؤساء الثلاثة عنصر خلخلة في بناء الدولة أصلا، وأنها لم تتم مرة إلا بأرجحية أحد هذه المراكز على المركزين الباقيين.. هو نظام طائفي بالإسم، إنما يضمر أشكالا من الإجحاف المستمر لجيوب أو أقليات طائفية في كل منطقة، عدا عن كونه نظاما من التزوير الكامل لمصالح اللبنانيين..».

هذا التزوير يجد تعبيراته في عدد من القوانين التي لا تحقق المساواة بين اللبنانيين، ولا تنمي المشاركة الشعبية والمحاسبة. فالقانون، حسب الدكتور نواف سلام، كما النظام السياسي، يحول دون قيام مواطنية لبنانية. و«المشكل الأساس هو قانون الانتخاب لجهة اللامساواة بين تمثيل المناطق اللبنانية المختلفة وبين القيمة الاقتراعية المتباينة التي يعطيها للبنانيين بين دائرة وأخرى. والأهم من كل ذلك، ان القانون ما يزال أساسه الوحيد هو الانتماء المذهبي الطائفي المناطقي، والذي يغلب في عملية الخيار العوامل التقليدية من ولاءات محلية أو فئوية».

ويدعو سلام الى العمل من داخل النظام السياسي، وبالحدود الدنيا التي أجازها الطائف، من أجل «اعتماد وتحصين الهيئات الجديدة كالمجلس الدستوري والمجلس الاقتصادي الاجتماعي التي يجب ألا تدخل إليها سوى معايير الكفاءة والتمثيل المهني القطاعي. وما المعركة التي خيضت حول رئاسة المجلس الاقتصادي الاجتماعي إلا لمنع قيام سابقة ممكن أن يتأسس عليها عرف الرئاسة للروم الكاثوليك». يضاف الى ذلك «اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق استقلالية القضاء، وإزالة الأحكام التمييزية ضد المرأة، وإلغاء المعايير الطائفية في الوظائف لما فيها من تمييز ضد الأقليات والكفاءات الوطنية، وتشكيل الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية».

ويشير سلام إلى كون «القانون يسمح لقوى المجتمع المدني أن تنتظم حتى تصبح فاعلة عن طريق إنشاء جمعيات، نقابات، نواد، وأحزاب. اليوم، الشكل الذي ينفذ فيه القانون يحور مفهوم العلم والخبر إلى نوع من الترخيص المسبق الذي يعطي دورا استنسابيا كبيرا لوزارة الداخلية، ويمنع قيام تجمعات توعية جديدة فيما تعطى «التراخيص» للجمعيات العائلية والنوادي المحلية وكل ما يتعلق بالمجتمع الأهلي على حساب المدني».

غياب الحوار

كان يمكن للإعلام أن يؤدي دورا فاعلا في هذا المجال. لكن «الصحافة التي تكشف وتفضح وتفتح اللعبة السياسية المقفلة غير موجودة»، حسب الدكتورة نهوند القادري، «ويعود ذلك الى كون الصحافي غير محصن نقابيا وغير محمي، مما يجعله يدخل في لعبة التواطؤ مع المسؤول عنه ومع السياسي.. ويتفاقم هذا الوضع بسبب قانون الإعلام الذي يجعل من الحصول على امتياز أمرا محصورا بالورثة والأغنياء، والذي وزع تراخيص المحطات التلفزيونية على أساس محاصصة تداخل فيها العامل الطائفي بالسياسي بالمادي. وهذه العوامل الثلاثة، حين تجتمع، ينتج عنها التحكم الكامل».

وتضيف القادري: «الإعلام ينطلق من المجتمع ليصب فيه، فإن كل ما يستطيع فعله هو إعادة إنتاج ما هو قائم. وإذا كانت الطائفية والانقسامات موجودة، فالإعلام يزيدها أو يخفف منها». ويبدو أن المواصفات الإعلامية اللبنانية تعمل في الاتجاه الأول لأسباب كثيرة منها القانون «وعدم احترام نسبة الملكية الطائفية في التلفزيونات» «واعتماد التعيين في تشكيل المجلس الوطني للإعلام» وغياب النقابات «التي تؤسس لأدبيات المهنة».

«لا حوارات سياسية على الشاشة»، تقول القادري، «مجرد لغة خشبية، دائرة تدور حول نفسها. الأشخاص يتكررون. المواضيع تتكرر، والبرامج التي كان من المفترض بها أن تخرج كبت المجتمع، تحولت الى مبارزة بين المجموعات حيث تشغل كل مجموعة حيزا لها في البرنامج وتشاهد نفسها من خلاله». لكن الخطورة ليست في البرامج السياسية لأن «إيديولوجيا الشرذمة لا تمر عبر برامج كهذه حيث يجهز المشاهد دفاعاته، إنما عبر البرامج الأخرى حيث تدخل الأفكار الجاهزة بشكل لا شعوري».

يوصي كتاب «الطلاب الجامعيون في لبنان واتجاهاتهم» بأن «بعض بنود اتفاق الطائف هي موضع خلاف بين الطلاب المسلمين والمسيحيين وربما أيضا بين كثير من المواطنين المسلمين والمسيحيين، مما يستدعي حوارا صريحا حول هذه المسائل بين ممثلين عن شرائح اجتماعية متنوعة من المجتمع اللبناني بدءاً بالطلاب، لأن الطائف يمثل الدستور الحالي للدولة الذي لا يجوز أن تبقى بنوده، ولو بعض منها، موضع خلاف شديد بين اللبنانيين».

فسحة الحوار هذه ما زالت غائبة عن الإعلام والجامعات في ظل وضع اقتصادي وقوانين وسياسات تجتمع كلها لترسخ انقسامات المجتمع. وفي ١٣ نيسان اليوم، أصدر طلاب القوات اللبنانية ملصقا يحمل شعار: «نتحاور معاً أو يتحاربون بنا»، ربما كان علينا أن نمتلك الجرأة للقول: «نتحاور معاً أو نتحارب».

خالد صاغية

ملصق لطلاب القوات اللبنانية في ذكرى ١٣ نيسان

«ارتاحوا الى وضعهم الوطني وجلسوا في خنادقهم»

مراجعة الحرب على طريقة المنظمات الشبابية

اليوم، في ١٣ نيسان العام ٢٠٠٠، ينظم تجمعان في وسط بيروت. احدهما يعقد تحت شعار «تنذكر تما تنعاد» من تنظيم حملة «من حقنا ان نعرف» بعيداً عن الاختباء خلف الشعارات التوفيقية «الجميلة»، فيما يحمل التجمع الثاني شعار «لبنان الجميع وفوق الجميع... وطن الحياة كان ولا يزال» بتنظيم النائب بهية الحريري وبمشاركة فعالة من جمعية شباب المستقبل.

تمويه الشعارات

ثمة فارق واضح بين حملة معرفة مصير غالبية المخطوفين والمفقودين، وبين ما كرره حسن حلواني (المسؤول الاعلامي في جمعية شباب المستقبل) لكلام الرئيس رفيق الحريري في الجامعة اليسوعية حول بعض المخطوفين، فبعدما امضى في الحكم ستة اعوام، اخبر الطلاب انه لا يمتلك أي معطيات عن الأسرى اللبنانيين في سجون عربية.

يستخدم حلواني مقولات مثل «نحنا ولاد اليوم... يجب ان ننظر الى نصف الكباية المليان». والترجمة العملية لذلك هي «استيعاب الميليشيات في الدولة بعد سكة الطائف الصحيحة»، وبعد الدور «الايجابي» للرئيس الحريري خلال «حروب الآخرين» عبر تحويلات تمويلية «اعمارية، خصوصا في صيدا، واخرى محايدة».

إلا ان بعض الشباب ما زال يتملكهم فضول النظر الى «النصف الفارغ» من الكاس، ربما لان مذاق النصف المليء لا يطيب لهم. ففي معرض الصور حول الحروب الاهلية الذي نظمه نادي حقوق الانسان في جامعة البلمند، حازت صورة رجل «مشلوح» وموثق بحبل سيارة على اكبر كمية تساؤلات. ولم يكن تمويه شعار الحزب المرسوم على السيارة سوى حافزاً اضافيا في تزايد الجدل بين الطلاب حول هوية ذلك الحزب.

اما في معرض صور الحروب الاهلية في الجامعة الاميركية قبل ثلاثة اعوام من تنظيم نادي حقوق الانسان هناك، فإن الصور لم تكن مموهة، بل انها عنونت وذكرت معظم الاطراف المشاركة، فلم يرق لاحد الاحزاب مجرد ذكره في احدى صور الحرب، فانتزعها بعنف هادئ.

والمعرضان المتشابهان في موضوعهما هما من تنظيم مجموعتي «العمل المباشر» و«بلا حدود» اليساريتين وحديثتي النشأة في جامعتي البلمند والاميركية في بيروت. واجرت كلتا المجموعتان، بتفاوت، نقاشات محدودة داخلية حول الحرب اللبنانية. ويذكر عضوان، كل من مجموعته، بان ثمة ادانة للحرب واطرافها كافة، وهو ما يعززه عدم الانتماء الحزبي لدى معظمهم، على الرغم من بعض الميل السياسي الى جانب «الحركة الوطنية اللبنانية» وان بتفاوت ايضا، بالاضافة الى وجود هاجس مستمر باجراء مراجعة نقدية جدية للحرب.

الحنين الى «المعلم»

وليس تنظيم معرض كمال جنبلاط في الجامعة الاميركية بمبادرة رئيسية من مجموعة «بلا حدود» ومنظمة الشباب التقدمي، والذي اقتصر على صور ومقولات وكتب لكمال جنبلاط طالت بداية الحرب، ومن دون اي وجهة نقدية، إلا تأكيداً على التردد في «بلا حدود» بين مراجعة الحرب سياسيا بشكل نقدي وبين الحنين الى اطراف فيها.

إلا ان الحنين يتحول الى تمسك بمواقف كمال جنبلاط لدى منظمة الشباب التقدمي. ويقول وائل ابو فاعور من المنظمة ان «وجهة نظرنا لم تكن خاطئة، وهناك اختلاف بين اطراف مسؤولة عن الحرب واخرى مسؤولة في الحرب». ويؤكد ابو فاعور وجود حنين متزايد في أوساط شباب المنظمة للعودة الى افكار «المعلم» كرد فعل على حال الحزب من بعده.

يكاد ينحصر نقد ابو فاعور لبدايات الحرب على «الاساءات من قبل بعض القيادات الفلسطينية». اما في ما يختص بالمجازر وقتل المدنيين لاحقا، فإن «الدم يستسقي الدم مثلما الطائفية البغيضة تستدعي مثيلتها»، وهو يحصرها في ردود فعل عفوية على فعل «ناس غرباء من خارج المنطقة». اما سلمان سماحة، منسق عام طلاب «القوات اللبنانية»، فلا يذكر بدوره قتل مدنيين، ويستدرك قائلا ان بعض الحوادث كانت ردود فعل على احداث سبقتها «حتى ان الذين شاركوا فيها ندموا، وانتهت القضية».

اختار طلبة الحزب الشيوعي الطريق الجديدة، وتحديداً الجامعة العربية، ليقيموا ندوتهم قبل عامين عن «الحركة الوطنية اللبنانية» من مقر انطلاقتها وفق علي الحسيني (المسؤول الاعلامي في مكتب الطلاب) مستضيفين جورج حاوي، وانحصر نقد بداية الحرب في بعض فصائل منظمة التحرير الفلسطينية في حين «لم نخض نحن (الشيوعيون) الحرب تحت شعارات تحويل لبنان الى بلد احمر... بل انها فرضت علينا».

وزع طلاب «الشيوعي» في الجامعة العربية ورقة تقول «ان الحرب هي بين فرقاء تقاتلوا ولا يعرفون بعضهم بعضا، وعندما انتهت الحرب ما زالوا لا يعرفون بعضهم بعضا». ورد فيها اعتراف بالتقصير في جهل الاطراف المسيحية حاليا من جهة، ودعوة «لدخول اي حرب باهداف تخصنا...» من جهة اخرى وفق الحسيني ايضا.

ما زال كمال جنبلاط، ابرز رموز انطلاقة الحرب وضحيتها، ينال الاعجاب في اوساط شبابية حزبية وغيرها. ويصف محمود دندشلي (حركة الشعب) تأثره بما قرأه في كتب لجنبلاط، ويعتبر أن مشروع «الحركة الوطنية» السياسي ما زال صالحا في الوقت الذي تتردد فيه الآراء في اوساط «الشعب» بين تبني جانب «الحركة الوطنية» وبين «الاجماع على ان الكل قد اخطأ من دون أن نتفق على كيفية حدوث ذلك».

بيانات الحرب

اثار مجسم المخيم الفلسطيني في الجامعة الاميركية، الذي نظمته «حركة الشعب»، جدلا بين الطلاب ومهد لسلسلة بيانات «حربية» عززها منع ملصق «القوات اللبنانية» في الجامعة الذي تظهر فيه جان دارك مرتدية صليبا فوق زيها العسكري، وكتب تحتها: «ملتزمة... احلى بكتير».

«هكذا بدأت الحرب اللبنانية... استباحة الفلسطيني لأرض لبنان، تنازل الدولة عن دورها في حماية المواطن...» كما ان اول بيان وزعته «القوات» تلاه اخر موقع باسم «الجبهة الوطنية الطلابية» بعنوان «مخيم... بس ناقص». وبعدما ردت بعض القوى السياسية في بيان مشترك على بيان «القوات» بلغة معتدلة نسبيا تدعو الى الحوار، لم يرق ذلك للطلبة «القوميين السوريين» في ان يكون «التيار الوطني الحر» مشاركا في الرد مصنفين اياه ضمن «مدرسة... بحجم جنرال لم يمارس الحرب إلا ضد شعبه...»، وواصفين «الفرق الوحيد بينهما (الجنرال والحكيم) ان الاول في حضن العدو والثاني في السجن؟»، ومتهمين هذه «المدرسة» «بالتسلل... الى موقف تختبئ في ظله لتغير جلدها...».

إن اكثر ما اثار «القوميين السوريين» هو تحالف «التيار الوطني الحر» و«بلا حدود»، فجاء رد الاخيرين في بيان مشترك لم يخل بدوره من تخوين المخونين... واصفين لغتهم («القوات» و«القوميين») بانها عودة الى «ايام الخنادق... فالبيان الاول - بيان طلاب القوات - اكتفى بالقاء اللوم على الشعب الفلسطيني و«الغريب»، وارتاح لوضعه «الوطني» وجلس في خندقه. والبيان الثاني - بيان طلاب القوميين - تربع في خندقه، مرتاحا «لوطنيته»... فكل تنظيم موجود في المنطقة «الغربية» بمنطقهم، يمكنه ان يرتاح «لوطنيته» ويجلس مكتوف الايدي، وكل طرف في المنطقة «الشرقية» فهو يعد اوتامتيكيا خائنا، وعليه اثبات وطنيته امام محكمة «القوى الوطنية...».

فرزت الحرب مهزومين وآخرين منتصرين في الحكم وفلكه. ومهزومون هم من اطراف متباعدة. وان اطلقت «القوات» الرصاص ابتهاجا بخسارة الجنرال عون الحرب، فهي سرعان ما اكتشفت انها في الخانة نفسها. وكان الاشتباك بالايدي على خلفية الحرب يعد من الامور الاعتيادية بين الطرفين في الجامعات ذات الحضور المشترك للاعوام الاولى من بعد الطائف، قبل ان تأخذ شكل تنافس انتخابي حاد في تلك الجامعات.

اما المنتصرون فهم كثرة ومتناوبون على الحكم بدرجات. ويصف ابو فاعور («التقدميون») ان نتيجة الحرب «ايجابية جدا تمثلت باسقاط الانعزاليين واستفادت منها كل القوى الوطنية... اما في المرحلة الحالية صرنا رقم عشرين بعدما قام الانتصار على ظهورنا». وفي موقف مواز، يقول صبحي ياغي (القوميون السوريون) إن «المشروع الاميركي الاسرائيلي، سبب الحرب، قد أسقط، او أجّل على الأقل».

تعترف غالبية الاطراف «المنتقدة»، بان ثمة تراجعات وسلبيات اجتماعية وسياسية مثل الطائفية. لكن انتصارهم لا يعني التغلب على مثل هذه السلبيات، ان لم يكن العكس صحيحا، فاحد ابرز المهزومين طلابيا هو الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية. ويصف جورج زيدان (حزب «الوعد») ان مبادراتهم تجاه «الاتحاد الوطني» متشابهة مع طروحات «أمل» القاضية بتأجيل «الاتحاد» الى ما بعد توحيد مباني الجامعة اللبنانية ومناهجها، علما ان التشابه يطال ايضا تحالفهما الوثيق مع سوريا مقابل «ارضاء» قواعدهم الشعبية برفض منح الحقوق المدنية للاجئين الفلسطينيين.

يتهم وليد الاشقر («التيار الوطني الحر»)، في المقابل، التيارات المتعاقبة على السلطة بتعطيل عودة «الاتحاد الوطني» بحجج متعددة، فيما يرى بدوره ان اعادة احياء «الاتحاد» ضرورة قبل الامور الاخرى من اجل العمل على توحيد الجامعة اللبنانية باكثر من اتجاه ومن المفترض ان تجري لقاءات بينهم وبين طلاب منظمة الشباب التقدمي من فروع مختلفة للجامعة اللبنانية للتباحث في قضايا اكاديمية تخص كل كلية.

اجرى كل تيار مراجعته شبه المحسومة خلال الحرب في تحوله من موقع الى آخر... مقتربا من السلطة الفعلية، واستمر فيها الى ما بعد الحرب. وقد تكون القوى اللطابية، الاكثر ابتعاداً عن مركزية الاحزاب وزعمائها، تمتلك مقدرة اكبر في الانتقال من مراجعة في الحرب الى مراجعة الحرب.

ان ما يجري في الجامعة الاميركية مثلا يعطي انطباعا بان شبابا يحاولون اجراء مراجعة للحرب... من بين مخيم فلسطيني، وصورة جان دارك «الملتزمة» بصليبها، وصورة كمال جنبلاط بالكوفية وبيانات تعود لغتها الى زمان الحرب.

عمرو سعد الدين

بالعكس طبعاً

كي لا أفقد أشياء أخرى *

اذكر الكابوس الذي راودني لفترة سنة، كابوس يومي، مشهد قذيفة تخترق وجهي ما ان ارفعه من وراء سرير جدتي..

اذكر جارتنا التي كانت تخبّئ رأسها تحت طاولة المطبخ وتنصرف الى ابتلاع كم هائل من الحبوب المهدئة، يوميا..

اذكر صورة رسمتها وانا في الخامسة من العمر لمشهد وفاة ابنة خالي التي فصلت شظية اسرائيلية رأسها عن بقية جسدها، وهي في السابعة عشرة من العمر.. مشهد كنت اراه يوميا..

اذكر دموع أمي التي حين لم تكن تبكي البلد كانت تبكي نفسها، تبكي ما عاشته وما لم تعشه بعد، تبكينا وتحضننا من دون أن تفسد تربيتنا التي هي كل ما بقي لها لتمارسه من اختصاصها الجامعي: علم النفس..

اذكر وجهها عندما نهرها عنصر من «حزب الله» بعدما طلبت منه، من الشرفة مباشرة، ان يخفض صوت نواح عاشوراء فـ«البروفيه بعد يومين».. اذكر انني اكتشفت حينها ان امي «حرمة لازم تنضب».. كرهته كي لا تكون أمي ضعيفة.. كرهته لأحبها.

اذكر صورتي الفوتوغرافية امام قرميد بيتنا العتيق الذي اصابته قذيفة اسرائيلية، اذكر الحزن البادي على وجهي وانا ابكي قرميدا احببته فرحل..

كنت اخاف البون بون لأنه كان ممنوعا علينا ان نتناوله بعدما ترميه الطائرات فهو ربما مسموم.. بون بون مسموم.. حينها، كان البون بون مخيفا ايضا..

اذكر الحد الفاصل بين اللهو والحقيقة: اذكر مسدس شقيقتي اللعبة الذي شهرته مرة، من البلكون ذاته، في وجه «الخندق المحارب» قبل ان تبادرها رصاصات تقتل.. رصاصات صوتها يقتل وتأثيرها يقتل وضحك شقيقتي يقتل، لكننا لم نمت.. حزنا فحسب.

اذكر اصوات الراجمات الاخيرة التي سمعناها، راجمات عون وجعجع وسوريا.. كنت اسمعها من بطني، اشعر بها من بطني، تماما كما يصدح صوت المغني من بطنه.. كان صوتا تمنيت حينها لو اموت فلا اسمعه، صوت أبشع من الفعل في حرب اخرستني اصواتها..

في الحرب، كانت خالتي تصوم ولا تفطر، شقيقتي تدرس ولا تنجح، خالي يتقدم في السن ولا ينتج، كانت ابنة خالي تموت ولا تحارب، كان ابي يتصل ولا يسمع، وكنت أنا أسأل ولا افهم، اخاف ولا ابكي.. كنت اموت يوما بعد يوم، كنت اعرف اني اموت فأصبحت من اصحاب النكات الدائمة، كائنا هستيريا، يريد ان يُضحك كي يضحك..

كنت اخاف ان أنام وحدي في السرير، اخاف ان تخرج امي ولا تعود، كنت ارى فيها دائما واحدا من مسببات ارتفاع عدد الضحايا، وأرى فيها ايضا مدعاة دائمة للحداد.. بكيت وفاة أمي وهي حية.. بكيت فقداني لها وهي الى جانبي، وبكيت كل من احب لأني لم اكن اثق تماما بأني سأتمكن من حبهم بعد ساعة.

اذكر حبي لجميع المقاتلين وكرهي لهم، اذكر ان الحب حينها كان يشكل ثنائيا ملازما للكره.. خوفا من! اذكر ان الحب حينها كان اكثر ما يخيفني واكثر ما افتقد..

وانتهت الحرب..

وعدنا الى المدرسة..

وولدنا من جديد في صباح متأخر..

ونسيت تماما كل شيء.. نسيت ولم ارد ان اتذكر.. نسيت امي واختي وابنة خالي وخالتي.. حتى ابي نسيته.. وقلت: أنا الاقوى، وسمعت انني المستقبل، وفهمت ان السلام الحالي يحضر لحرب اخرى..

جملة كثر ترددها واصبحت كليشيهاً يقال ببساطة.. كما لو ان قائله لم يعش الحرب ولم يمت خلالها.. انا مت خلالها.. الحرب ان عادت سأهاجر، وان تحولت الى كلمة في فم «زعيم» او مفكر سأهاجر، وان انتهت سأهاجر..

الحرب كانت طويلة جدا ومرت بسرعة جدا.. كانت اطول من كل ما تبقى من عمري.. وبقي عمري صدى سيئا لها.. فنحن «جيل الحرب» وفلتانها.. ولكننا ايضا جيل الحرب ووجعها غير المفهوم، وجعها الذي لم يرحل قط وربما لن يرحل ابدا وبالتأكيد لم يخفت ابدا.

أنا لم انس شيئا، على عكس ما توقعت.. أنا اتناسى.

انا اذكر كل شيء.. للاسف.

فأرجوكم ان تتمهلوا قليلا قبل ان تنسوا.. كي لا افقد اشياء اخرى.. كي لا اموت، من جديد، وحيدة كوسط المدينة.

سحر مندور

*مساهمة قدمت في نقابة الصحافة بدعوة من حملة «من حقنا ان نعرف»

لنبقى.. ونستمر

... واع... م م م... ما... ماما... مبو... أ، ب، ت، ث، ج....ز... زر... زرع... حصد... حقل.. قمح... زيتونة... ليمونة... وردة... زهرة... أزهار... حب... كره... ربيع... صيف... وطن... عدو... شرق... غرب... خريف... لبيك يا لبنان... عاشت فلسطين حرة عربية...

اللبناني = فينيقي... عربي عربي عربي... عربي = حيوان... نعم للبنان عربي تقدمي... لا لليسار نعم للبنان... نعم لليسار... عرب - بترول = صفر على الجمال... يا عمال العالم ويا ايتها الشعوب المضطهدة اتحدوا... اليسار جرثومة اجتماعية، أرسلوا الصحية... لا لثعابين النظام ومومياءاته المحنطة... لقحوا أطفالكم ضد اليسار... أمن المجتمع المسيحي فوق أي اعتبار... قف حاجز... (تابيراما)...

سيبقى لبنان الأخضر بفضل دمائنا الحمراء... لبنان الاحمر... الغرباء اكثر من اللبنانيين... لا أعرفهم لكني أعرف فيهم شعبي، لا أعرفهم لكني أعرف فيهم هويتي... بدنا نحكي عالمكشوف، فدائي ما بدنا نشوف... يا أمي أرضعيني حليب العنفوان... اللص عدو البطل... على كل لبناني ان يقتل فلسطيني... الشعب أقوى... لبناني فلسطيني، سجل أنا عربي... قف حاجز... (مكتبة حليم.. كتب مدرسية... مكتبة حليم... كل القرطاسية...)...

نعم للفدرالية... لا للتقسيم... لا للانعزالية... لا للمخطط الفاشي الانعزالي... نعم لإسرائيل... لا لإسرائيل... نعم لسوريا... لا لسوريا... لا للمقاومة.. لا للعروبة في لبنان... لا ماروني بعد اليوم... لا إله إلا الله محمد رسول الله... أحمل صليبك واتبعني... قف حاجز... (قلبي موعود تابي عبود)...

لا للطائفية، لا للتقسيم، نعم للعلمانية... لا للطائفية، لا للعلمانية، نعم للإسلام... أخي المسلم، أنت أخي ما دمت تحب لبنان... لن يبقى مسلم على أرض لبنان... الله واحد، خميني قائد، النصر للإسلام، الموت لإسرائيل، حربا حربا حتى النصر، زحفا زحفا نحو القدس... أيها اللبنانيون، ان أعداءكم هم الفلسطينيون الجبناء... ليس من عدو يقاتلنا في أرضنا وديننا الا اليهود... سنجعل لبنان مقبرة للفلسطينيين... نعم لفبيتنام جديدة في هذه المنطقة... نعم لصبرا وشاتيلا.. أعرف عدوك، السوري عدوك... الجيش السوري للتحرير وليس لقمع الجماهير... لبنان كان وسيبقى مقبرة للغزاة، اتق شر من أحسنت اليه.. إسرائيل شر مطلق... الموت لإسرائيل... الموت لأميركا... طريق تحرير القدس تمر في جونيه... لنبقى ونستمر... لو لم أولد ناصريا لاخترت الناصرية دربا.. نكون أو لا نكون... الطوائف نعمة والطائفية نعمة... حالات حتما... ممنوع على نسائنا بعد اليوم الا أن تولد أبطالا... ويل لأمة تضحي بشبابها من أجل شيبها... لبنان أيضا له فدائيون... حرية، سيادة، استقلال... نزرع أجسادنا في الارض والقطاف آت وهو التحرير... لن نركع ما زال طفلنا يرضع... ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة... لبنان ليس إسرائيل أيها المخربون... ما بدنا مجلس نواب يوقف للسوري بواب... خبز وعلم وحرية... على خط النار كوزو، ضد الرجعية، والصهيونية، والاستعمار... ثلاثة بيخلو الانسان يشعر بالانسانية، أرزة لبنان ولبنان وحكمة الأشرفية... لعيونك.. آه آه رياضي.

نعيم رمّال

هل يعيد التاريخ نفسه؟

في نظرة سريعة الى تاريخ لبنان الحديث، لا بد ان نجد بأن السلام والتعايش اللبنانيين ما كانا يوما الا فترات راحة بين حروب متتالية ومتقطعة، بدءاً من نظام القائمقاميتين والمتصرفية، مروراً باعلان دولة لبنان الكبير، انتهاء باتفاق الطائف.

فالحروب اللبنانية كانت وما تزال تحكمها الظروف الاقليمية الموضوعية والظروف الذاتية الداخلية والممتدة جذورها في التركيبة اللبنانية الهشة والتي قامت هي ايضا على موازين قوى دولية تداخلت فيها مصالح الاستعمار، المكرسة فعلياً في اتفاق سايكس بيكو.

وبين التخلص من الاستعمار وانتساب لبنان الى محيطه العربي، بدأت مسيرة المجتمع اللبناني المستقل تتعرج في منحى بعيد كل البعد عن مضمون المنظومة الفعلية لبناء وطن حقيقي وأهدافها.

وبدأت تتضح ملامح ميثاق دولة الطوائف اللبنانية المتعايشة على أرض لبنان الواحد كبديل لشعارات الاستقلال الحقيقي، اي بناء لبنان اللاطائفي والموحد أرضا وشعبا. فكانت فلسفة «الميثاق الوطني» دعوة صريحة الى ديمومة لبنان الطائفي. وذلك بشعار «وحدة الطوائف اللبنانية المستقلة والمتعايشة على أرض واحدة».

فجاءت اللحمة والتعايش بين الطوائف على قاعدة تجميع التناقضات الطائفية. فالفكر الميثاقي لا يسعى الى تذويب الاتجاهات المتناقضة وصهرها في بوتقة الوحدة الوطنية الحقيقية ومنعها من الانفجار. بل يسعى الى تجميعها فقط لذلك فهي لحمة هشة لم تبن على قاعدة صلبة من الوحدة الوطنية الحقيقية بل مجرد تجميع لكافة التناقضات الطائفية والوطنية والاجتماعية والقومية على الساحة اللبنانية.

وإذا كانت الحرب الاهلية اللبنانية في احد تمظهراتها تهدف الى الخروج على «الميثاق الوطني ١٩٤٣»، فإنها كرست ميثاقاً آخر اكثر طائفية، وبتوافق عام. فالحرب الاهلية التي اشتعلت في ١٣ نيسان ١٩٧٥ لم تكن سوى الصورة المباشرة والفعلية للاقتتال الدائم المخزن في الوعي المجتمعي اللبناني المنقسم على ذاته عبر الايديولوجيات المستقطة عليه او المنبعثة منه، والتي فرضت تركيبة الوطن النهائي المزيف.

فالصورة المتناقضة للوطن المنشود لدى التشكيلات الافقية والعمودية التي تؤلف الوطن اللبناني، وكذلك هيمنة طائفة على اخرى وانفرادها بسائر المقومات السلطوية والاقتصادية، وتداخل القضايا القومية والعربية والتاريخية في هيكلية الاحزاب التي افرزتها التناقضات الاجتماعية او التي نشأت كمبرر لوجود الحرب الاه